كُنّاشة: (١٤)

علمُ المنقطعِ المعطوفِ القرآنيُّ

إبراهيم عليّ السّفسيف

اُصطلح على المباحث المتعلّقة بالقرآن الكريم من حيث نزوله، وتدوينه، وجمعه، وقراءاته، وناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك، أُصطلح عليها تسمية (علوم القرآن).

وكانوا قصدوا من كلمة (علم/علوم) هنا: المعرفة المنظّمة حول موضوع معيّن وفق منهجيّة متّسقة مع موضوعها.

فمثلًا: كلّ ما يرتبط بكيفيّة أداء الكلمات القرآنيّة اتّفاقًا واختلافًا، وما يتبع ذلك من سرد مذاهب رواتها وتحمّلها وروايتها، ولاحقًا تقعيد مصطلحاتها ومفاهيمها وضوابطها وعرض قضاياها ومنافعها وأرخنتها، كلّ ذلك أُدرج تحت علم يُعرف باسم (علم القراءات القرآنيّة). وهكذا دواليك مع بقيّة أصناف علوم القرآن.

منذ القرن السادس الهجريّ، ظهرت مؤلفات توسّعت في تناولت علوم القرآن كعلم مستقلّ في كتاب جامع، وتفنّنت في تعداد أصنافها. كان أبرزها كتاب (البرهان في علوم القرآن) لبدر الدين محمّد بن عبدالله الزركشيّ(ت:٧٩٤هـ) الذي رصد (٤٨) علمًا، و"الإتقان في علوم القرآن" لعبدالرحمن بن كمال الدين السيوطي(ت:٩١١هـ) حيث رصد (٨٠) علمًا، و(الزيادة والإحسان في علوم القرآن) لابن عقيلة المكيّ محمّد بن أحمد بن سعيد(ت:١١٥٠هـ) حيث رصد (١٥٤) علمًا.

وعلى كلّ حال، فلاتزال أصناف علوم القرآن محصورة في سياج الأصناف التي ذكرها هؤلاء الأعلام وغيرهم. وهذا ما حدا بالباحثين إلى الدعوة للتجديد فيها، عبر تحرير مصطلحاتها، وإنضاج علومها، وإعادة قراءتها بما يُواكب منجزات العلوم ذات الصلة بالبحث القرآنيّ كعلم الفقه والأصول والمناهج الفلسفيّة والألسنيّة الحديثة.

الإماميّة وعلوم القرآن

بحسب ما يتوافر من مصادر، فإنّ علماء الشيعة الإماميّة لم ينخرطوا في التأليف حول (علوم القرآن) كمصطلح دالٍ على علم مستقلّ من علوم المعرفة الإسلاميّة، فقد خلت مؤلّفاتهم على طول التاريخ حتّى منتصف القرن الماضي من كتاب جامع يُنظِّر لهذا المصطلح ويُقعّد لعلومه. وهذا لايعني بالضرورة أنّهم لم يُؤلّفوا في علوم القرآن أو يُقعّدوها، فكتبهم شاهدة على سبقهم إلى كثير من هذه العلوم[1].

على أنّ وتيرة التأليف تحت هذا المصطلح ازدادت مع نهايات القرن الماضي ومطالع هذا القرن، وهي لاتزال مستمرّة ومتطوّرة. حيث تُوّجت بالعديد من المؤلّفات القيّمة، والتي من أهمّها موسوعة (التمهيد في علوم القرآن) للشيخ محمّد مهديّ معرفة في عشرة أجزاء، وموسوعة (نصوصٌ في علوم القرآن) للسيّد عليّ الموسويّ الدارابيّ، في عشرة أجزاء كذلك، وغيرها من المؤلّفات المختصرة.

ولقد يلحظ المتابع لهذه المؤلّفات الإماميّة ملاحظتين، هما:

[1] انظر الفصل (١٢: في تقدّم الشيعة في علوم القرآن)، من كتاب: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، للسيّد حسن الصدر: ٣١٦-٣٥٠.

- الأوْلى: أنّها ركّزت على مجموعة من العلوم وأغفلت الكثير، فتناولت مثلًا علومًا أساسيّة، كعلم الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والإعجاز القرآنيّ، وما يرتبط بتاريخ القرآن وتدوينه وجمعه. أمّا علوم القراءة وكثير من علوم التفسير وعلوم لغة القرآن، فقد بقيت تُطلب من مضانّها؛ وذلك لأسباب ليس مجالها هنا.
- الثانية: أنّها لم تضع في أولويّتها مقاربة المصطلحات والمفاهيم والآراء والقضايا التي اشتغلت عليها وانشغلت بها مؤلّفات علوم القرآن عامّة وفق بيانات المعصومين(عليهم السلام)[1].

رسالة المحكم والمتشابه

من بين المصادر الإماميّة، التي حوت بالتركيز على ما ورد عن أهل العصمة(عليهم السلام) من معارف القرآن وعلومه، (رسالة المحكم والمتشابه)[2] والتي يرويها السيّد

---

[1] قال الشريف المرتضى: "اعلم أخي -وفّقك الله لما يُرضيه بفضله وجنّبك ما يُسخطه برحمته- أنّ القرآن جليل خطره، عظيم قدره. ولمّا أخبرنا رسول الله(صلّى الله عليه وآله) أنّ القرآن مع أهل بيته(عليهم السلام)، وهم التراجمة عنه، والمفسّرون له، وجب أخذ ذلك عنهم ومنهم، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل:٤٣) ففرض -جلّت عظمته- على الناس العلم والعمل بما في القرآن، فلا يسعهم مع ذلك جهله، ولايُعذرون على تركه.
وجميع ما أنزله في كتابه عند أهل بيت نبيّه الذين ألزم العباد طاعتهم، وفرض سؤالهم والأخذ عنهم، حيث يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(النحل:٤٣)، فالذكر هنا رسول الله، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (*) رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾(الطلاق:١٠-١١) وأهل الذكر هم أهل بيته.
ولمّا اختلف الناس في ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(فطر:٣٢)، فلم يفرض على عباده طاعة غير مَن اصطفاه وطهّره دون مَن وقع منه الشكّ أو الظلم ويُتوقّع". رسالة المحكم والمتشابه: ٥٣-٥٤.

[2] يعلّل المحقّق -السيّد عبدالحسين الغريفيّ البهبهانيّ- عنوان الرسالة: إنّ تسمية الرسالة بهذا الاسم من باب إطلاق اسم الجزء على الكلّ.

المرتضى علم الهدى(ت:٤٣٦هـ)، بعدما أخذها كاملة عن تفسير النعمانيّ[١]-المحدِّث الثقة أبوعبدالله محمّد بن إبراهيم النعمانيّ المعروف بأبي زينب(ت:٣٦٠هـ)- بسنده إلى الإمام جعفر بن محمّد الصادق(عليه السلام)، عن آبائه(عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام).

حيث كان شيعة أمير المؤمنين(عليه السلام) إذا فرغت من تكاليفها، يسألونه عن ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ورخصه وعزائمه... فيخبرهم.

لاتقف أهميّة الرسالة -فيما يخصّنا هنا- عند حدود ذكر مسمّيات أصناف علوم القرآن علوم القرآن، بل تتعدّاه إلى ضبط مراداتها، والتمثيل عليها من آيات القرآن الكريم.

فوق هذا، فإنّها أشارت وبيّنت ومثّلت لأصناف من علوم القرآن لم يذكرها أحد ممّن كتب قبل ظهور مصطلح علوم القرآن وبعده، وبما يشمل كلّ المؤلّفات المستقلّة في علوم القرآن والجامعة أيضًا -بحسب اطّلاعي القاصر-.

[١] التفسير مفقود الأثر، ولم يصل منه سوى ما نقله السيّد المرتضى في هذه الرسالة.

في مطاوي هذه الرسالة، وقفتُ على علم من علوم القرآن لم يتناوله أحد بالذكر، وهو علم (المنقطع المعطوف).

مع الإشارة إلى أنّ الرسالة ذكرت علمًا آخر، هو علم (المنقطع غير المعطوف)، لكنّها لم تفصّل فيه. وأعتقد أنّه ذاته الذي ذكره السيوطيّ في إتقانه عند حديثه عن (النوع التاسع والعشرون: في بيان الموصول لفظًا المفصول معنًى)[1].

---

[1] قال السيوطيّ: "هو نوع مهمّ، جدير أنْ يُفرد بالتصنيف، وهو أصل كبير في الوقف، ولهذا جعلته عقبه. وبه يحصل حلّ إشكالات وكشف معضلات كثيرة:
من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (*) فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف:١٨٩-١٩٠)؛ فإنّ الآية في قصّة آدم وحوّاء كما يُفْهِمُه السياق، وصُرِّح به في حديث أخرجه أحمد والترمذيّ= =وحسّنه[...]، لكنّ آخر الآية مشكل، حيث نسب الإشْراك إلى آدم وحوّاء، وآدم نبيّ مُكلَّم، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوة وبعدها إجماعًا.
وقد جرّ ذلك بعضهم إلى حَمْل الآية على غير آدم وحوّاء، وأنّها في رجل وزوجته كانا في أهل الملل، وتعدّى إلى تعليل الحديث والحكم بنكارته.
ومازلت في وقْفَة من ذلك حتى رأيتُ ابن أبي حاتم قال: أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم، حدّثنا أحمد بن مفضل، حدّثنا أسباط، عن السديّ في قوله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال: هذه فصل من آية آدم، خاصّة في آلهة العرب.
وقال عبدالرزاق: أنا ابن عُيينة، سمعتُ صدقة بن عبدالله بن كثير المكيّ يُحدّث عن السديّ قال: هذا هو الموصول المفصول[...] فانحلّت عني هذه العقدة، وانجلت لي هذه المعضلة، واتّضح بذلك أنّ آخر قصة آدم وحوّاء ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ وأنّ ما بعده تخلّص إلى قصّة العرب، وإشراكهم الأصنام". انظر: الإتقان في علوم القرآن(تح: مركز الدراسات القرآنيّة بمجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف): ٢/٥٧٦-٥٨٢.

علم المنقطع المعطوف

نظرًا لوضوح العبارة في هذه الرسالة عن علم المنقطع المعطوف[1]، سأنقل ما ورد فيها حرفيًّا. حيث جاء الآتي:

"والمنقطع المعطوف في التنزيل هو أنّ الآية من كتاب الله -عزّ وجلّ- كانت تجيء بشيء ما، ثمّ تجيء منقطعة المعنى بعد ذلك، وتجئ بمعنًى غيره، ثمّ تعطف بالخطاب على المعنى الأوّل.

مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان:١٣) ثمّ انقطعت وصيّة لقمان لابنه فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان:١٤-١٥) ثمّ عطف بالخطاب على وصيّة لقمان لابنه فقال: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(لقمان:١٦).

ومثل قوله -عزّ وجلّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(النساء:٥٩) ثمّ قال تعالى في موضع آخر عطفًا على هذا المعنى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة:١١٩) كلامًا معطوفًا على ﴿أُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

[1] القطع لغةً: إبانة(فصْل) شيء عن شيء. أمّا العطف لغةً: فهو الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(البقرة:١١٠) ثمّ قال تعالى في (الأمر بالجهاد): ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾ الآية(البقرة:٢١٦).

ومثله قوله -عزّ وجلّ- في سورة المائدة: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾(المائدة:٣) ثمّ قطع الكلام بمعنًى ليس يشبه هذا الخطاب، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(المائدة:٣)" ثمّ عطف على المعنى الأوّل والتحريم الأوّل، فقال سبحانه: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(المائدة:٣).

وكقوله -عزّ وجلّ-: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام:١١) ثمّ اعترض -تعالى- بكلام آخر، فقال: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾(الأنعام:١٢) ثمّ عطف على الكلام الأوّل، فقال -عزّ وجلّ-: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:١٢).

وكقوله في سورة العنكبوت: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ ياقوم ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (*) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(العنكبوت:١٦-١٨). ثمّ استأنف القول بكلامٍ غيره فقال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (*) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (*) يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (*) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا

فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (*) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(العنكبوت:١٩-٢٣). ثمّ عطف القول على الكلام الأوّل في وصف إبراهيم، فقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾(العنكبوت:٢٤) ثمّ جاء -تعالى- بتمام قصّة إبراهيم(عليه السلام) في آخر الآيات.

ومثله قوله -عزّ وجلّ-: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ (الإسراء:٥٥) ثمّ قطع الكلام، فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾(الإسراء:٥٦) ثمّ عطف على القول الأوّل فقال تمامَه في معنى ذكر الأنبياء وذكر داود: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾(الإسراء:٥٧).

ومثله قوله -عزّ وجلّ-: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(البقرة:٢٨٥) ثمّ استأنف الكلام، فقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾(البقرة:٢٨٦). ثمّ رجع وعطف تمامَ القول الأوّل فقال: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(البقرة:٢٨٦) إلى آخر السورة.

وهذا وأشباهه كثير في القرآن"[١].

[١] الشريف المرتضى، رسالة المحكم والمتشابه: ٩٤-٩٦.

مقترح بحثيّ

إجراء دراسة استقصائيّة لمواضع المنقطع المعطوف في جميع أجزاء القرآن الكريم، ليتبع ذلك تقعيد مفهومه وحدوده وضوابطه، ومن ثمّ العمل على استكشاف مساهماته في حلّ الإشكالات التفسيريّة.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(الأنفال:١٠)

الأربعاء: ٢١ ذو الحجّة ١٤٤٦هـ/ ١٨ يونيو ٢٠٢٥م.